(٥) القضية الفلسطينية عسكريا

عرف الوضع العسكري في النصف الاول من شهر اذار حالة تجمد واضح ، وأحس الاسرائيليون بحالة استرخاء عسكري ، وساد لديهم اعتقاد شبه مؤكد بأن الامور تسير لصالحهم ، وان الزمن سيزيل بالتدريج كل اثار الحرب الرابعة . وكان اعتقادهم هذا نابعا من تفسيراتهم الذاتية للوضعين الدولي والمحلي . ولقد رأى ساسة تل أبيب ان انفراد الدبلوماسية الاميركية في ايجاد الحل، وجهود كيسنجر المكثفة التي تستبعد التدخل السوفياتي ، عبارة عن عامل ملائم لسياسة المماطلة التي يتبعونها . كما انهم رأوا ان فصل القوات على الجبهة المصرية الذي تم في الرابع من آذار (مارس) ، وخلق بين القوات البرية المصرية والقوات البرية الاسرائيلية منطقة عازلة ، يمنح الدولة الصهيونية قسطا كبيرا من الامن على جبهتها الجنوبية ، ويحميها من أية مفاجأة استراتيجية على غرار مفاجأة ٦ تشرين الاول (اكتوبر) الماضي .

وكان الاسرائيليون يعتقدون ان القوات العربية المنتشرة على الجبهة الشمالية ستحافظ على الهدوء النسبي بعد ان هدأت المدافع على جبهة القناة ، وانسحبت القوات العراقية لتجابه معضلات عسكرية جديدة على الحدود الايرانية وفي شمال البلاد ، وان الوضع الجديد على جبهات القتال سيضمن لهم هدوءا يجابهون فيه الحالة المعنوية المتدهورة ، وتصاعد عمليات الثورة الفلسطينية ومتطلبات الوضع الاقتصادي المهزوز. كما سيعطيهم القدرة على اعادة تنظيم قواتهم المسلحة ، واكتشاف أخطائها وعيوبها ونقائصها التسليحية والقيادية، بعد ان تقدم لجنة «اغرانات» تقريرها عن تقصيرات الحرب، وتوزع المسؤولية على المقصرين . وما دام الامر كذلك فان بوسع اسرائيل أن تغلق الباب على نفسها ، « لترتب البيت من الداخل » شريطة ان ينساها العالم ، ويتركها لحل معضلاتها ، ما دام ليس في الامكان ابدع مما كان.

وبالرغم من تخوف الاسرائيليين من امكانية وقوع تحول في سياسة الولايات المتحدة ازاء الدولة الصهيونية التي تزعتها حرب تشرين الاول (اكتوبر). وبالرغم من شكوكهم حول الموقف الاميركي الذي أخذ يتبدل (جزئيا) من جراء تقديم المصلحة الاميركية الوطنية على المصلحة الاسرائيلية تحت تأثير الضغوط العربية — الاوربية (البترولية أساسا) وبسبب الخوف من تزايد النفوذ السوفياتي في المنطقة بشكل يتناسب طردا مع تزايد الدعم الاميركي غير المشروط لاسرائيل . فقد كان الاسرائيليون يعتقدون ان رفع الحظر البترولي العربي ، وتفكير المصريين الجدي باستقطاب رؤوس الاموال العربية والاجنبية لاعادة بناء الاقتصاد المصري على أسس جديدة ، وفتح قناة السويس وتعمير مدن القناة ، سيخلق امامهم فرصة ثمينة للهدوء على الجبهة الجنوبية ، ويجعلهم اقدر على الالتفات كلية نحو الجبهة الشمالية . من هنا جاء موقفهم المتشدد ازاء السوريين ، وعودتهم الى التهديدات التي تبدو وكأنها مستقاة من ملفات ما قبل الحرب الرابعة . في الوقت الذي يتحدثون به عن السياسة المصرية ، والخطوات الاقتصادية المصرية بلهجة المتفهم المتعقل . ولقد بقي هذا الاعتقاد سائدا حتى يوم ١٢ اذار (مارس) عندما انفجر الوضع المتوتر على الجولان ، وبدأت « حرب الاستنزاف السورية » التي لا تزال رحاها دائرة حتى اليوم .

ويبدو ان الاسرائيليين اعتقدوا في البداية ان العودة الى اطلاق النار عبارة عن حادث طارىء بلا ابعاد استراتيجية ،وان السوريين سيضطرون الى التخلي عن هذا الاسلوب بسرعة . لذا كان التفاؤل يسود احاديث كيسنجر وايبان في واشنطن خلال زيارة وزير الخارجية الاسرائيلية للعاصمة الاميركية في الاسبوع الثاني من شهر مارس (اذار) . فلقد صرح وزير الخارجية الاميركية في ٣/١٥ « انتهت مرحلة طويلة من الجمود في الشرق الاوسط » ثم أضاف « اعتقد اننا سنتقدم لا في نتائج المحادثات في الشرق الاوسط فحسب ، بل في التفاهم ايضا » وقال ابا ايبان في اليوم نفسه « ان كل شهر مر منذ حرب يوم الغفران كان يحمل تقدما » (ر.أ. عدد ٤٨٦) .

بيد ان كرايسكي لم يكن يشعر بمثل هذا التفاؤل ، فلقد زار كرايسكي المنطقة على رأس